

البيان في تفسير القرآن

(270) والعمل بما فيه. ومن البين أن المراد من ذلك الرجوع إلى طواهره، وحينئذ فلا بد وأن يراد من التفسير بالرأي غير العمل بالطواهر جمعا بين الأدلة. 3 – غموض معاني القرآن: إن في القرآن معاني شامخة، ومطالب غامضة، واشتماله على ذلك يكون مانعا عن فهم معانيه، والاحاطة بما أريد منه، فإننا نجد بعض كتب السلف لا يصل إلى معانيها إلا العلماء المطلعون، فكيف بالكتاب المبين الذي جمع علم الأولين والآخرين. والجواب: أن القرآن وإن اشتمل على علم ما كان وما يكون، وكانت معرفة هذا من القرآن مختصة بأهل بيت النبوة من دون ريب، ولكن ذلك لا ينافي أن للقرآن طواهر يفهمها العارف باللغة العربية وأساليبها، ويتعبد بما يظهر له بعد الفحص عن القرائن. 4 – العلم بارادة خلاف الظاهر: إنا نعلم – إجمالا – بورود مخصصات لعمومات القرآن، ومفيدات لاطلاقاته، ونعلم بأن بعض طواهر الكتاب غير مراد قطعا، وهذه العمومات المخصصة، والمطلقات المقيدة، والطواهر غير المرادة ليست معلومة بعينها، ليتوقف فيها بخصوصها. ونتيجة هذا أن جميع طواهر الكتاب وعموماته ومطلقاته تكون مجملة بالعرض، وإن لم تكن مجملة بالاصالة، فلا يجوز أن يعمل بها حذرا من الوقوع فيما يخالف الواقع.